﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾ [الإسراء: 48]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

افتراءاتهم على الرّسول ﷺ أثناء لقاءاتهم وتناجيهم

بعد أن ذكرت الآية السّابقة خطط المشركين في الاستماع للقرآن، لإلقاء الشّبه فيه، ثمّ اجتماعهم للتناجي في شأنه وفي شأن الرّسول ﷺ، ثمّ خلوصهم إلى القول: إنّكم لا تتّبعون إلّا رجلًا قد ذهب عقله واختلط، بعد ذلك كشفت لنا هذه الآية التّي أمامنا صورة ممّا كان يجري في اجتماعاتهم وفي نجواهم، حيث كانوا يتسابقون إلى اختلاق الأوصاف الّتي يرونها أنسب وأكثر تأثيرًا وفاعليّة في حملة الإرجاف الّتي نشطوا فيها لتشويه صورته ﷺ أمام النّاس، فراحوا يضربون له الأمثال الّتي هي بعيدة عنه كلّ البعد، فقالوا عنه: هو كاهن وساحر وشاعر، وإنّما يعلّمه بشر، وقالوا عن القرآن: أساطير الأوّلين، فقال سبحانه في التّعجيب من حالهم: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَرَبُواْ لَكَ﴾: أَصْلُ الضَّرْبِ: إيقاعُ شَيْءٍ على شَيءٍ وإصابَتُهُ بِهِ، يُقالُ: ضَرَبَهُ بالعَصا، يَضْرِبُهُ، ضَرْبًا، أَيْ: أَوْقَعَها عليه[1]، والضَّربُ الصِّنف من الأَشْياء؛ يُقال: هَذا من ضَربِ ذاك، أَي: من نَحوه، وجمعُه ضروب[2]، وضَرْبُ الأَمْثالِ: اعْتِبارُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وتَمْثيلُه بِهِ، يُقال: ضَرَبَ اللّه مَثَلًا، أَي: وَصَفَ وبَيَّنَ، قيل مأخوذ: من ضَرْبِ الدِّرْهَم صَوْغُه لإيقاعِ المَطارِق، سُمّيَ بِهِ لتَأْثيرِه في النُّفوسِ، وقيلَ: إِنَّه مأْخوذٌ من الضَّريبِ أَي المَثيلِ، تَقولُ: هوَ ضَريبُه، وهُما

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضرب).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضرب).

مِنْ ضَربٍ واحِد؛ لأَنَّه يَجْعَلُ الأَوَّلَ مِثْلَ الثّاني[1]، والمقصودُ بقوله: ﴿ضَرَبُواْ لَكَ﴾ في الآية: بيَّنوا ومثَّلوا؛ تَشْبيهًا لِلشَّيْءِ المُبَيَّنِ بِالشَّيْءِ المُثْبَتِ[2].

2) ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾: (مثل): أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على مُناظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ[3]، والمِثْلُ يُستَعمَلُ للتَّسويَةِ بين شَيئَيْنِ، يُقالُ: هذا مِثْلُهُ ومَثيلُهُ، كما يُقالُ: شِبْهُهُ وشَبيهُهُ، ويأتي بِمعنى نَفْسِ الشَّيْءِ وذاتِهِ[4]، والمقصود بالأمثال في الآية: جمع مَثَل، وهو النَّظيرُ والمُشابِهُ.

3) ﴿فَضَلُّواْ﴾: أصلُ (ضَلَّ) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وَذَهابِهِ في غَيْرِ حَقِّهِ[5]، والضَّلال: الغَيبوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبن، إذا غاب، وضلَّ الكافِرُ: غابَ عَن الحُجَّة، وضلَّ النّاسي، إذا غابَ عَنهُ حِفْظُه[6]، والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عن الطَّريق، يُقالُ: ضلَّ فلانٌ، يَضلُّ، ضلالًا: إذا انحرفَ وضاعَ ولم يهتدِ إلى الطَّريق[7]، ورجلٌ مُضَلَّل؛ أي: لا يوفَّق لخيرٍ، وصاحبُ غَواياتٍ وبَطالات[8]، وضِدُّه: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ، والمقصود بالضَّلالِ في الآيةِ: الحَيْرَةُ في الطَّريقِ وعَدَمُ الاهْتِداءِ، أَيْ: ضَرَبوا لكَ أَشْباهًا كَثيرَةً؛ لأَنَّهُمْ تَحَيَّروا فيما يَعْتَذِرونَ بِهِ عَنْ شَأْنِكَ العَظيم[9].

4) ﴿سَبِيلًا﴾: (سبل): أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على إرسالِ شَيءٍ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفْلٍ، وعلى امْتِدادِ شَيءٍ، فالأَوَّلُ مِنْ قيلِكَ: أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، وَأَسْبَلَتِ السَّحابَةُ ماءَها وَبِمائِها، وأمّا الثّاني: فالمُمْتَدُّ طولًا: السَّبيلُ وما وَضَحَ مِنْهُ، وَهوَ الطَّريقُ؛ سُمّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدادِهِ[10]، يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، والتَّأنيثُ أَغْلَبُ، وسَبيلُ اللّهِ: طَريقُ الهُدى الذي دَعا إليهِ، وجمعُه: سُبُلٌ[11]، والمقصودُ بالسَّبيل في الآية: الطَّريق[12].

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (ضرب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(4) الخليل، العين، الأزهري، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (مثل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلّ).
(6) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضلَّ).
(8) الخليل، العين: (ضلَّ).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبل).
(11) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وَعِيدُ اللهِ سبحانه للمُشركين وإيناسُه لرسولِه الأكرم

يقولُ الحقُّ سبحانه: انظُرْ يا مُحَمَّدُ ﷺ مُتعَجِّبًا كيف مثَّلَ لك المُشرِكونَ الأمثالَ الباطِلةَ، وشبَّهوا لك الأشباهَ، فشَبَّهوك بالمسْحورِ، وقالوا عنكَ: شاعِرٌ، مَجنونٌ، ساحِرٌ، كذّابٌ، فَضَلَّ المُشرِكونَ عن طريقِ الحقِّ بضَربِ هذه الأمثالِ الباطِلةِ المُتناقِضةِ لكَ وتَحيَّروا فلم يَقدِروا أن يَسلُكوا طَريقًا يُخرِجُهم مِن هذا الضَّلالِ، ويوصِلُهم إلى الحَقِّ[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### دلالة الاستئناف في جملة ﴿ٱنظُرْ﴾:

حال المشركين يدعو إلى العجب

جملة ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ مستأنفة استئنافًا ابتدائيًّا[2]، مسوقة لأجل التعجيب من حالهم، وجرأتهم على الترويج للكذب والافتراء، وتحذير كل مَن يصلح للخطاب من سلوك نفس سبيلهم، وإلا فليحذر هذا المقتدي بهم، أن ينال ما نالوا من الوصف بالظلم والضلال، وما أدراك ما عقاب الظالمين الضالين؟

### غرض التّعبير بأسلوب الأمر:

الأمر بالفعل (انْظُرْ) دالّ على وضوح كذبهم وافترائهم

التّعبير بفعل النظر ﴿ٱنظُرْ﴾ إشارة إلى أن كذبهم وافتراءهم على الرّسول ﷺ فيما وصفوه به مِن أوصاف ملؤها الحقد والحسد، ولا وجودَ لها في الواقع، قد بلغ من الوضوح أن يكون منظورًا[3] مشاهدًا، بحيث لا تخطئُه العين.

### غرض الاستفهام بـ ﴿كَيْفَ﴾:

الاستفهام مراد به التّعجيب من أفعالهم وأقوالهم

قوله: ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾، المراد بالاستفهام هنا التّعجيب مِن جرأتهم على الافتراء والكذب، وبيان أنّ أمرهم بما بلغه مِن

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 613، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 273، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 459.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.

الاستغراب، استأهل أن يساق التّعجيب منه في هيئة هذا السّؤال: ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، أي: انظر كيف اجترأ هؤلاء الضلّال، فضربوا ﴿لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، وهي الأشباه الّتي هي أبعد شيء عن صفتك من قولهم – مشبّهين إيّاك –: ساحر وشاعر ومجنون ونحوه[1].

**غرض التّعبير بالاستعارة في ﴿ضَرَبُواْ﴾:**

الضّرب مستعار للإبراز والبيان

وذلك أنّ أصل معنى (ضرب) وضع الشّيء وتثبيته، يقال: ضرب خيمة، إذا ثبت قوائمها في الأرض وشدَّها، ويُطلق كذلك على صوغِ الشيء على حجمٍ مَخصوص، يقال: ضرب دنانير، وهو هنا مُستعار للإبراز والبيان، تشبيهًا للشيء المُبْرَز المُبين بالشيء المثبت[2]، على طريقة الاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة.

**غرض تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَكَ﴾:**

تقديم العلّة على المعلول، من فصيح البيان

قدَّم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ على المفعول ﴿ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ تقديمًا للعلّة على المعلول؛ بإبراز كون العلّة في ضرب هذه الأمثال، هو أنّها ﴿لَكَ﴾ أي: لك يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامُه؛ لأنّهم حاروا في شأنك، وفي إقبال النّاس على دعوتك، حتى بدأ الأتْباعُ يكثرون من حولك رغم ما يعانون من اضطهاد وتنكيل،"واللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل والأَجْل، أي: ضربوا الأمثال لأجلك، أي: لأجل تمثيلك، أي: مثلوك، يقال: ضربت لك مثلًا بكذا، وأصله مثلتك بكذا، أي: أجد كذا مثلًا لك"[3].

**سرُّ تعريف المفعول ﴿ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بـ (أل):**

بيان أنّ إفادة الشّمول والعموم هي سرّ جمع لفظ (الأمثال)

وذلك أنّ الّذي صُرِّح به هنا، وحُكيَ عنهم هو مثل واحد، وهو قولهم عنه: رجل مسحور؛ "لأنّ المقصود التّعجيب مِن هذا المثل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 437.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.

ومن غيره، فيما يصدر عنهم من قولهم: هو شاعر، هو كاهن، هو مجنون، هو ساحر، هو مسحور"[1].

**دلالة الفاء مع الفعل ﴿فَضَلُّواْ﴾:**

التّرتيب والتّعقيب ذو أثر في المعنى مفيد

جملة ﴿فَضَلُّواْ﴾ معطوفة على جملة ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ومترتبة عليها، وهي مفيدة أن حصول الضلال أثر سريع لضربهم الأمثال بالباطل لرسول الله ﷺ، والمراد بالضلال هنا هو الضلال الخاص بافترائهم على الرسول ﷺ، وهو زائد فوق ضلالهم العام؛ لأنّهم في الأصل ضالّون حتى قبل هذا الافتراء وضرب المثال.

**دلالة التّعبير بالماضي ﴿فَضَلُّواْ﴾:**

ضلالهم محقَّقٌ ثابت، لا ريب فيه

عبَّر بالماضي لإكساب الحكم بالضّلال ما تفيده صيغة الماضي، من تحقّق الوقوع وتأكيده، فوقوعهم في الضّلال كأثر لما وقع منهم من افتراء، هو أمر مُحقّق ومُؤكّد.

**دلالة ﴿فَضَلُّواْ﴾ بين الحقيقة والمجاز:**

الضّلال حيرة وتمزّق يؤول إلى فقد السّبيل المنجي

**الأوّل**: أن يكون التّعبير على حقيقته وأصل معناه، وهو الحيرة في الطّريق وعدم الاهتداء[2]، والمعنى: أنّهم ضلّوا في الوصولِ إلى طريقةٍ يُفسدون بها أمرك، ويخذلون النّاس من خلالها عن الإيمان بك، وذلك أنّهم ركبوا كلّ حيلة معه ﷺ فلم يفلحوا في الوصول إلى غايتهم.

**والثّاني**: أن يكون المراد بالضّلال معنى مجازيًّا، وأنّه جزء من الاستعارة التّمثيليّة في جملة ﴿ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾، وسيظهر دوره مع الكلام عن الاستعارة التّمثيليّة، عند الكلام عن قوله ﴿سَبِيلًا﴾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 121.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122.

**دلالة الفاء في ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:**

الفاء عاطفة، دالَّة على ترتيب عدم استطاعتهم على ضلالهم وحيرتهم، في تنكُّب طرق الافتراء للنيل من رسول الله ﷺ.

الضّلال يسبّب عدم الاهتداء لأيّ سبيل صحيح

**دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾:**

دلَّ التّعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ على مدى جهدهم المستمر المبذول في سبيل الوصول إلى غايتهم، فلم يستطيعوا، والسين والتاء الزّائدتان في قوله: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للدلالة على عِظم البذل والجهد، وكثرة التّردّد بين الطرق التي ظنوها فاعلة للنيل منه ﷺ، فباءت جميعها بالفشل، وباؤوا بعدها باليأس والفشل.

جهود المشركين كذبٌ وافتراءٌ

**دلالة ﴿سَبِيلًا﴾ بين الحقيقة والمجاز:**

يُحمل قول الذِّكر الحكيم: ﴿سَبِيلًا﴾ على الحقيقة أو المجاز، أما إن كان المراد بالسبيل الحقيقة فمعناه سبيل الهدى والإيمان، وذلك مبنيٌّ على أنّ المراد بالضلال معناه الحقيقي، وإلا يكون الكلام على التمثيل والمجاز (استعارة تمثيليّة)؛ أي: بأن يكون تمثيلًا لحال ضلالهم بحال الذي وقف في فيفاء، لا يدري من أية جهة يسلك إلى المقصود، والمعنى على هذا: أنّهم تحيروا كيف يصفون حالك للناس لتوقّعهم أنّ النّاس يكذّبونهم، فلذلك جعلوا ينتقلون في وصفه من صفة إلى صفة، لاستشعارهم أنّ ما يصفونه به باطل لا يُطابقه الواقع[1].

سبيل المعنى، كسبيل الحسّ

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### السَّبيلُ والطَّريقُ:

قال الزّركشي في التّفريق بينهما: قد كثر استعمال السبيل في القرآن - في الخير - حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع وخمسين موضعًا: أولها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ

اقتران لفظ السبيل بالخير أكثر، واقتران لفظ الطريق بسياق الشّر أكثر، وكلاهما يصلح للحالين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 122، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 59.

ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 273]، ولم يقع ذكر الطريق مرادًا به الخير إلا مقترنًا بوصف، أو بإضافة، ممّا يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: 30][1]، لكنه قد يُستعمل في غير الخير؛ كما في هذه الآية: ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾، على أن المراد أنّهم لا يستطيعون أن يسلُكوا معه سبيلًا من سُبل الشّر المُجدية معه بالتأثير السّلبي، فكلّ سبُلهم التي سلكوها قدّ بارت، وهكذا أيُّ سبيل آخر مِن جنسها لو سلكوه فسيبور أيضًا؛ لأنّه لن يكون له تأثير عليه ﷺ، وعلى أنّ كون المراد به الهداية والإيمان، كما مضى ذكره كاحتمال، فإنّه يكون أيضًا مستعملًا في الخير، لكنّه الخير المنفي عن المخبر عنهم، وقال الرّاغب في التفريق بينهما: السبيل الطريق التي فيها سهولة[2]، وعلى ذلك فهو أخص من الطريق، فكلّ سبيل طريق، وليس كلّ طريق سبيلًا.

(1) الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، 4/ 80، والسيوطي، الإتقان: 2/ 264

(2) الرّاغب، المفردات، ص: 395.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»